

E-ISSN: 2709-9369
P-ISSN: 2709-9350
www.multisubjectjournal.com
IJMT 2020; 2(2): 20-25
Received: 19-06-2020
Accepted: 22-08-2020

پوهنيار جواد محق

الأستاذ بقسم اللغة العربية وأدائها
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة هراة

پوهنيار مبشر مسلميار

الأستاذ بقسم الثقافة الإسلامية
كلية الشريعة، جامعة كابول

المديح النبوي في شعر حسان بن ثابت «رضى الله عنه»

پوهنيار جواد محق، پوهنيار مبشر مسلميار

الملخص

إن الرسول صلى الله عليه وسلم شخصية بارزة في تاريخ الإسلام وفي تاريخ البشر كله، الذي لا نجد له نظيراً ولا مثيلاً، هو الذي غير معالم الحياة وأوصل الإنسانية إلى أعلى درجاتها. عندما بُعث الرسول صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة، وبدأ يبلغ رسالة ربه، قد بدأ صراعاً عنيفاً بين المسلمين والمشركين، الذين قاموا بإخراج المسلمين من مكة و صار سبباً لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، ووقف بجانبه أهل المدينة ودافعوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام بأموالهم وأنفسهم، وبسيوفهم وأسننتهم.

ولاقلاً دور من اهتم بالدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ودينه الحنيف بلسانه عن دافع عنه بسيفه، وهذا الدفاع كان يشمل مدح النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين و الفخر بما جاء به الإسلام من معالي الأخلاق و صفوة العقيدة وذكر محاسن المسلمين ومساوئ المشركين و تعييرهم بفساد عقيدتهم.

ومن أبرز شخصيات والشعراء الذين دافعوا عن النبي صلى الله عليه وسلم هو حسان بن ثابت الأنصاري، الذي لُقّب بشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم و احتل المكانة الأولى في الدفاع عن الدين والرسول بشعره و لسانه.

و نحن نتناول في هذا البحث جانباً من جوانب شعر حسان بن ثابت الأنصاري، و هو مدح النبي صلى الله عليه وسلم في شعره، ودفاعه عن الرسول صلى الله عليه وسلم و الإسلام، حيث اتخذ شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم الشعر سيفاً صارماً في الدفاع عن الإسلام والمسلمين والهجوم على مشركي قريش، وذلك من خلال بيان مساوئهم ومخازيهم وتعييرهم بالخصائص الرذيلة التي يتحلون بها، وقد استطاع الشاعر بطريقة فنية رائعة أن يحقق ما حققه الأبطال في ميدان الحرب وقد حقق شعره ما يحققه السيف والرمح.

الكلمات المفتاحية: حسان بن ثابت، المدح، صفات الرسول صلى الله عليه وسلم، عصر صدر الإسلام

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه
إن الله تعالى يحب المدح والثناء لنفسه ويحب الحامدين له من خلقه، وقد أتت على نفسه في كتابه الكريم في مواضع متعددة ومنها قوله تعالى: «تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (الملك/1). ومدح رسوله كذلك في مواطن كثيرة منها: ما يمدحه بأخلاقه الرفيعة حيث قال عز وجل: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم/4). ومرة يذكره بأسماء كثيرة وسمات جلييلة في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرًا وَذَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا» (الأحزاب/45-46).

وقد عرف الشعر العربي المدح في كل أشكاله واتجاهاته، وقلما نجد شاعراً عربياً ليس له قصائد أو أبيات في المدح ولما ظهر الرسول صلى الله عليه وسلم انقسم العرب في اتباعه، ووقف فريق معه وفريق راح يناضله، فنشأ شعر ديني إسلامي في المديح يشيد بالرسالة والدعوة، فظهر المديح النبوي وترعرع، وهذا النوع الجديد من فنون الشعر العربي مهّد الطريق للشعراء الإسلاميين بعده على مدى القرون في امتداد الإسلام والنبي الكريم.

كان الشعر ديوان العرب، كما يقول سيدنا عمر رضى الله عنه: الشعر علم قوم لم يك لهم علم أعلم منه" (القيرواني، 1981م: 27/1).

والمدح من أقدم وأعرق أغراض الشعر العربي، وقلما نجد شاعراً ليس له قصائد أو أبيات في المدح ولما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة انقسم العرب إلى فريقين، فريق معه ويتبعه ويدافع عنه

Corresponding Author:

پوهنيار جواد محق

الأستاذ بقسم اللغة العربية وأدائها
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة هراة

و فريق يناضله ويهجو و يهجم عليه، وهذا بداية الشعر الإسلامي في الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ودينه الحنيف. ومن أبرز الشعراء الذين وقفوا بجانب الرسول صلى الله عليه وسلم ودافع عنه وعن الإسلام بشعره ولسانه هو حسان بن ثابت الأنصاري «رضى الله عنه» وهو أحد الصحابة الذين خدموا الإسلام و المسلمين خدمة جليلة، وجاهد في سبيل الله بلسانه، ولذا كان الرسول «صلى الله عليه وسلم» يعرف مكانته وقيمة شعره فقربه إليه. واستمع لشعره وأعجب به وكان يدعو له بقوله: "اللهم أيده بروح القدس". (البخاري، 1987م: 4 / 112 رقم 3212) فكان دور حسان بن ثابت في الدفاع عن الإسلام دورا شامخا و كبيرا وله حق عظيم على المسلمين وعلى الدعوة الإسلامية.

أهمية البحث

تأتي أهمية هذا البحث للموضوعات التي يدرسها وهي:

- هذا البحث يدرس الشعر الذي يمدح أعظم شخصية في تاريخ البشر وهو الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أسله الله تعالى لهداية البشر ولينقذهم من الظلمة والضلالة إلى النور والهداية، ويبين لهم معالم الحياة و يعلمهم سبيل النجاة والسعادة و حررهم من عبودية الأوثان إلى عبادة الله الواحد القهار.
- فمن الضروري أن يحتل صاحب هذه الرسالة الكبيرة والتحول العظيم مكانة رفيعة في الشعر والأدب، وعلى الشعراء أن يهتموا بهذه الشخصية العظيمة و يتحدثوا عن مفاخره و عظمته، وقد اهتم الشعر العرب بهذه الشخصية منذ بعثته إلى العصر الحاضر.
- يدرس هذا البحث غرضا من أسمى وأقدم أغراض الشعر وهو المدح، والمدح احتل مساحة واسعة من الشعر العربي ونستطيع أن نقول من أهم أغراض الشعر العربي مذ وُجد الشعر.
- وبالتالي يدرس هذا البحث شاعرا من أهم شعراء المسلمين وهو حسان بن ثابت الأنصاري شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم والأول، الذي استخدم الشعر كسلاح مهم من أسلحة الدفاع عن الرسول والرسالة و يُعتبر مؤسس الشعر الإسلامي في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ونشر الدعوة التوحيدية.

أسباب اختيار الموضوع

من أبرز الدوافع والأسباب التي حثت الباحث وحملته إلى اختيار هذا الموضوع العناصر التالية:

- المديح النبوي احتل مساحة واسعة في الأدب العربي على امتداد العصور القديمة والحديثة، ويشكل جزءا مهما في الثقافة العربية الإسلامية.
- كون المديح النبوية ذات أهمية كبرى لأن موضوعاتها تمثل صفات الرسول صلى الله عليه وسلم
- أعجابي بالمدحة النبوية عند حسان بن ثابت الذي لم يتخذ هذا الفن وسيلة للتكسب، بل دفاعا وذودا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته.
- كان الباحث قديما يحب الشعر والأدب، وأثناء دراسته في الثانوية كان من عادته أن يحفظ الأشعار الفارسية وعندما التحق بالجامعة وبدأ الدراسة في قسم اللغة العربية كان شغوفا بالأدب العربي وشعره، وكذلك كان محبا لسيرة النبي

صلى الله عليه وسلم ويدرس كتب السيرة ، وجد الباحث أثناء مطالعته لاختيار الموضوع أنه يستطيع أن يختار موضوعا يحتوي الأدب والسيرة معا، فلذلك اختار هذا الموضوع.

أسئلة البحث

السؤال الأصلي: ما هي ميزات المدائح النبوية في شعر حسان بن ثابت الأنصاري

الأسئلة الفرعية

1. ما مدى تأثير المديح في الدعوة الإسلامية
2. ما مكانة المدائح النبوية في شعر الإسلامي
3. ما هي أبرز الدوافع التي أدت إلى اهتمام حسان بن ثابت بشعر المديح

أهداف البحث

الهدف الأصلي: التعرف على صفات النبي صلى الله عليه وسلم، في ما قاله شاعره الأول حسان بن ثابت الأنصاري

الأهداف الفرعية

1. دراسة نشأة فن المديح النبوي في عصره صلى الله عليه وسلم.
2. التعرف على شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم.
3. إيضاح قيمة شعر حسان بن ثابت
4. مدى تأثير الشعر على دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

خلفية البحث

لقد تناول كثير من الكتاب والنقاد فن المديح النبوي موضوعا لكتبهم وبحوثهم كدراسة زكي مبارك في: (المدائح النبوية في الأدب العربي) ودراسة الدكتور على محمود مكي: (أدبيات المدائح النبوية) ودراسة محمود سالم محمود: (المدائح النبوية حتى نهاية عصر المملوكي) و أميل ناصيف: (أروع ما قيل في المدح) والباحث أدرك أنه لم ينل اهتمام أي باحث إلى دراسة عن المدائح النبوية بتركيز خاص في شعر حسان بن ثابت بحثا مستقلا غير أن الدراسات والمقالات في هذا الموضوع جاءت كجزء قصير في المباحث المختلفة كأغراض الشعر العربي والأدب الإسلامي وغيرها وبناء على ذلك أردت أن أتحدث في هذا الموضوع كبحث مستقل يدرس المديح النبوي في شعر حسان بن ثابت رضى الله عنه.

منهج البحث

إن المنهج الذي اعتمدت عليه في هذه الدراسة، هو المنهج الوصفي التحليلي، إذ إن الموضوع الذي نحن بصدد دراسته يتعلق بفترة صدر الإسلام والبحث عن هذا الموضوع يلزمنا الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي وذلك بوصف المدائح النبوية وتحليل ألفاظها ومعانيها، وعناصرها.

فرضية البحث

قام الشعراء بالدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم وردّ هجاء المشركين، وصار هذا المشروع سببا بأن يتبادر الشعراء وعلى رأسهم حسان بن ثابت بمدح النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا المدائح تحتوي على صفات الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاقه

قيمة شعره

القيمة الفنية لشعر حسان

الشريفة ومن خلالها نستطيع أن نتعرف على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

حسان بن ثابت الأنصاري شاعر الرسول

عندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد أن ظل في مكة ثلاث عشر سنة يدعو الناس إلى الدين الإسلام الحنيف، صارت هجرته إلى المدينة مفتتح طور جديد في تاريخ الإسلام، كما يقول محمود علي مكي إذا التف حولها أهلها ولم يمض وقت قليل حتى اعتنق معظم أهلها الإسلام في صدق وإخلاص، إلا أن المعركة ظلت بين المسلمين من جهة وقريش ومن والأهم من قبائل العرب من جهة أخرى، وكان سلاح الشعر من أمضى الأسلحة في هذه المعركة، فقد عمد شعراء قريش من المشركين إلى هجاء الرسول وأصحابه، فاستأذن بعض المسلمين الرسول في أن ينتدب علي بن أبي طالب رضي الله عنه للرد على هؤلاء غير أن الرسول صلى الله عليه وسلم أثار أن يضطلع شعراء الأنصار بهذه المهمة، إذ يؤثر عنه قوله صلى الله عليه وسلم "ما منع القوم الذين نصرنا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم" فقال حسان: "أنا لها" ومنذ هذه اللحظة أصبح حسان شاعر الرسول الأول وأبرز المدافعين عن الإسلام ومناقضي خصومه، وفي نقض ما قاله شعراء قريش في هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ويعتبر هذا الشعر نواة المدائح النبوية والنموذج الذي حاكاه أو عارضه كثير من شعراء أو تلك المدائح فيما بعد. (مكي، 1991م: 12)

حياته

1. **نسبه:** هو حسان بن ثابت من المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، ويكنى حسان أبا الوليد وأبا عبدالرحمن وأبا الحسام. ينتمي حسان بن ثابت إلى قبيلة الخزرج وينتسب من جهة أبيه إلى بني مالك بن نجار، وهم من بطون الخزرج وقيل إن أباه ثابت بن المنذر الخزرجي كان به سادة قومه ومن أشرفهم، وكان حسان خزرجيا من جهة أمه أيضا وأمها هي الفريجة بنت خالد بن قيس بن لؤذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج (إحسان النص: 1985م: 32).
2. **مولده:** ولد حسان بن ثابت سنة ستين قبل الهجرة في يثرب، إحدى مدن الحجاز إلى الشمال من مكة والطائف (إحسان النص، 1985م: 13).
3. **ملاحم من شخصيته:** من الصفات الخلقية والخلقية التي ذكرها المؤرخون، في وصف حسان بأنه كانت فيه عاهة جسدية تتمثل في أنه مقطوع الأكل، وكانت هذه العاهة المستديمة من أسباب قعوده عن المدافعة بالسيف (شرف الدين خليل، دت: 19).
4. **أهم أغراض شعره:** و بنسبة أغراض شعره نستطيع أن نقول لقد تنوعت أغراض حسان الشعرية التي تطرق لها في ديوانه فهو قال في المدح والفخر والثناء "وفتح باب النقائص الشعرية لمن أتى بعده من الشعراء وكما قال في الهجاء والخمر والغزل والحكمة.
5. **وفاته:** عاش حسان مئة وعشرون سنة (120)، نصفها في الجاهلية والنصف الآخر في الإسلام. (أبوالفرج الأصبهاني، 1959م: 138/4). وقد امتدت الحياة بحسان بعد وفاة الرسول ﷺ حتى أدرك خلافة معاوية أبي سفيان، وكانت وفاته في سنة 54هـ. على وجه الأرجح (مكي، 199م: 12)

كان حسان شاعرا شديدا التأثير، قوي العاطفة، وكان لشعره أثر بالغ في القلوب شديدا، وأشعاره من أحسن الأشعار وأغلاها وأغلاها من الناحية الأدبية، وهو كان من فحول الشعراء عصره ولذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يتخذ شاعره الأول ليرد على المشركي قريش، لكن يعتقد بعض النقاد أن شعره الإسلامي ضعف ولان وفقد ميزته القوية التي كانت في شعره الجاهلي، وقد علل ذلك الدكتور يوسف عيد عندما يقول: "وإذا صحت هذه الأشعار اللينة التي انتسب إلى حسان فإنه يسهل لتعليل هذه اللينة بأشياء منها:

1. تأثير أسلوب القرآن الكريم في نفسه فعدل عن الإسلوب البدوي الغليظ.
2. أن حسانا لما أسلم فلان جانبته ورقته حاشيته وتسلست ملكته الفنية فتجافى عن خشونة الجاهلية وكلامها الأجوف وعن الغلو والإفراط والزخرف وما إلى ذلك حتى قيل إن حسانا هو مؤسس الشعر الديني في الإسلام (يوسف عيد، 1992م: 8).

القيمة التاريخية لشعره

لشعر حسان بن ثابت قيمة تاريخية عظيمة تتمثل في أنه يعد مصدر من مصادر أيام العرب فهو يسجل مآتي الغساسنة ويصف غزواتهم وممتلكاتهم، يدون أحداث الفجر الإسلامي ويطلعنا على أخبار رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في غزواته ومعاركه وفتح مكة، كما يعطينا قائمة أسماء الصحابة و أعداء الإسلام، كأنه مؤرخ رسمي للدولة، يسجل كل الأحداث بشعره (يوسف عيد، 1992م: 9).

شعر حسان في الدفاع عن الإسلام

عندما ننظر في ديوان حسان بن ثابت الأنصاري نجد فيه قصائدا كاملة تدافع عن الإسلام والمسلمين. وذلك بهجاء المشركين ورد هجوهم الرسول صلى الله عليه وسلم تارة وبمدح النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه -رضوان الله عليهم- تارة أخرى. وقد تأثر كثير من الشعراء من شعره الرصين وأعجبوا بأسلوبه الرائع وهو الذي أنشأ صبغ الشعر بلون الجديد وأوجد الشعر الإسلامي الذي له رسالة وغاية عظيمة ودور واضح في تنمية الفكر الإسلامي ونشر الدعوة الإسلامية.

تعريف المدح لغة واصطلاحا

المدح لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: المدح نقيض الهجاء، وهو أحسن الثناء عليه والمدائح جمع من الشعر الذي مدح به، (ابن منظور، دت: 36/14) وعرفه الزمخشري بأنه: وصف الممدوح بأخلاق حميدة، وصفات رفيعة يتصف بها، (الزمخشري، 2003م، 786) ونفهم من خلال هذه التعاريف اللغوية أن المدح كلها يدل على حسن الثناء وذكر المحاسن، وهو التغني بالخصال الحميدة، والإشادة بمناقب الممدوح.

المدح اصطلاحا: يعد فن المدح من الأغراض الشعرية الأساسية التي عرفت القصيد العربية منذ العصر الجاهلي، وقد اعتبر أكثر فنون الشعر، انتشرا في الأدب العربي، الذي يلجأ إليه الشاعر من أجل: تعداد مناقب ممدوحه ويخصه بميزات يرى أنه يختص بها، أو يسدي إليه جميلا، ولم يكن باستطاعته رد هذا الجميل، فكان

وَأَنْذَرْنَا وَبَشَّرَ جَنَّةً وَعَلَّمَنا الإسلامَ فَاللهُ
نَحْمَدُ

(الديوان، 1980م: 85)

2. الهداية

يصف حسا الرسول صلى الله عليه وسلم في مرتبته له ويقول:
ما بال عينك لا تتألم كأنما كجأت مآقيها بكحل
الأرمد

جزعا على المهدي أصبح ثاويبا يا خير من وطئ الحصى لا
تبعد

وجهي يقبك الثراب لهفي ليتنى غيبث قلبك في بقيع
الغرقد

بأبي وأمي من شهدت وفاته في يوم الاثنين النبي
المهدي

(البرقوقي، 2006م: 98)

3. خير الخلق

عبر شعراء صدر الإسلام عن هذه الصفة في أشعارهم وبينوا أنه
خير البرية وأفضلها وخير الناس وخير من مشى فوق الأرض،
يقول حسان بن ثابت مبينا أفضلية الرسول عليه الصلاة والسلام
على بقية الخلق.

أعني الرسول فإن الله فضله على البرية بالتقوى وبالجد
(الديوان، 1980م: 86)

كما يؤكد حسان على هذه المكرمة الإلهية والأفضلية التي خصها
الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم من بين خلقه فيقول:

منهم رسول الهدى والله فضله ما في الأنام له عدل ولا كذب
(الديوان، 1980م: 121)

و في مكان آخر يقسم حسان بأفضلية الرسول صلى الله عليه وسلم
على بقية الخلق، فيقول:

تالله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل الرسول نبي الأمة الهادي
(البرقوقي، 2006م: 91)

4. الشفاعة

الشفاعة تعني " الانضمام إلى آخر ناصر له وسائلاً عنه، وأكثر
ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى..."

(محمد بن علي الجرجاني، 1405هـ: 168/1)

غاية مأمول المسلمين أن يحصلوا على شفاعة الرسول صلى الله
عليه وسلم، فالرسول هو صاحب الشفاعة، وهو رجاء كل مسلم
عند الله أن ينال من شفاعته ولا يحرم منها، ولهذا جاء في قول
حسان بن ثابت تأكيد على هذه الشفاعة وأن الرسول هو ناصرهم
بقدره الله فيقول:

لأنهم يرجون منه شفاعة إذا لم يكن إلا النبيين شافع
(الديوان، 1980م: 257)

ويقول في المؤمنين المقاتلين يوم أحد معبراً عن التفاهم ودفاعهم
عن الرسول صلى الله عليه وسلم مرجحين شفاعته:

أمام رسول الله لا يخذلونه لهم ناصر من ربهم وشفيع
(الديوان، 1980م: 258)

يبادر إلى تعداد خصاله الحميدة وتسجيل معروفه في مقطوعة
شعرية. (فارس، 2006م: 183)

وقد اختلف مدح الشعراء للمدوحين بنسبة اختلاف أغراضهم،
فهناك من يمدح بمدوحه لأجل التكسب وأخذ المال والصلة، ومن
يمدحه إعجاباً بصفاته وخصاله الحميدة كالشجاعة الكرم، وهناك
من يمدح لغرض الشكر على معروف كحسن الضيافة، والإغاثة.

مفهوم المديح النبوي

المديح النبوي فن من فنون الشعر، يصدر عن قلوب مفعمة
بالإيمان، عامرة بالصدق يعبر عن عواطف الشعراء النقية،
وأحاسيسهم الوجدانية الصافية، وقد عُرف مدح الرسول صلى الله
عليه وسلم في الشعر العربي منذ صدر الإسلام، فقد مدحه في
حياته عدد من الشعراء ولا سيما شعراء الدعوة كحسان بن ثابت
الأنصاري

ويعرف الإشبهي في كتابه «المستظرف في كل فن مستظرف»
أنه لون شعري جديد صادر عن العواطف النابعة من قلوب مفعمة
بحب صادق وإخلاص متين للنبي صلى الله عليه وسلم.

(الإشبهي، دت: 342/2)

كما أن المديح النبوي هو عبارة عن قصائد يقوم الشاعر فيها
بتعداد مناقب الرسول ﷺ وذكر خصاله ومآثره والقيم والفضائل
الجديدة التي جاء بها الإسلام كالإعتزاز بنصرة الدين والدعوة إلى
اعتناق بمبادئه ومحاربة الشرك والمشركين. (الطنطاوي، دت:

14)

ويعرف زكي مبارك المديح بأنه: "فن من فنون الشعر التي أذاعها
التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، ومن باب
الأدب الرفيع، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق
والإخلاص. (زكي مبارك، دت: 17)

ويعرفه جميل حمداوي صاحب كتاب «المديح النبوي في الأدب
العربي» بأنه ذلك الشعر الذي ينصب على مدح النبي ﷺ بتعداد
صفاته الخلقية والخلقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره
والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول ﷺ، مع ذكر معجزاته
المادية والمعنوية ونظم سيرته شعراً والإشادة بغزواته وصفاته
المثلى والصلاة عليه تقديراً وتعظيماً. (حمداوي، 2007م: 1)

مدائح حسان للنبي صلى الله عليه وسلم

قد مدح حسان الرسول صلى الله عليه وسلم بصفات جليلة التي
كان يتحلى صلى الله عليه وسلم بها، ومن خلال دراسة هذه
الصفات وهذه المدائح نستطيع أن نتعرف على ملامح شخصية
الرسول صلى الله عليه وسلم.

1. النبوة والرسالة

القرآن الكريم يُشير إلى نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم في
مواضع متعددة ومنها: « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ» (المائدة/67) و« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ» (الأنفال/64)، ومما يقال في توضيح معنى الرسول
والنبي أنه مفردة الرسول أخص من النبي، فالرسول هو من أوحى
إليه بشرح وأمر بتبليغه والعمل به، فكل رسول نبي وليس كل نبي
رسولاً. (ابن تيمية، 1982م: 184)

نرى حسان رضي الله عنه يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم
بهذه الصفة فيقول:

نبي أتانا بعد ياس وفتره من الرسل والأوثان في
الأرض تُعبد

(البرقوقي، 2006م: 41)

5. الكرم

تُعدُّ فضيلة الكرم من الفضائل الإنسانية المحمودة والمقدرة قبل مجئ الإسلام، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أكرم الناس في عهده وكان قنوة المسلمين و معلمهم الذي ينفق ماله في سبيل الله وتأليفاً على الإسلام، وكان جوده وكرمه سبباً في إسلام كثير من المشركين
يقول حسان في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

أعني الرسول فإن الله فضله على البرية بالتقوى وبالجود
(الديوان، 1980م: 86)

هنا يبين حسان منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانته عند الله، فقد ارتفع وعلت هذه المنزلة بسبب تقواه وكرمه.

6. الصدق

الصدق صفة الأنبياء جميعاً، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم متصفاً بهذه الصفة وبل أصدق الناس وخير أسوة للبشر إلى يوم القيامة
يقول حسان في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ويشهد بالصدق للرسول صلى الله عليه وسلم:

وقال الله قد أرسلتُ عبداً يقول الحق أن نفع البلاء
شهدتُ به فقوموا صدقوه فقلتم لا نقوم ولا نشاء
(الديوان، 1980م: 41)

7. الأمانة

لُقب الرسول صلى الله عليه وسلم بالأمين قبل النبوة، وقد أوردت كتب السيرة والتاريخ عن أمانته قصصاً عديدة، فمن المعروف أن كفار قريش، بالرغم من عدم قبولهم الإسلام والاعناق بهذا الدين الحنيف، إلا أنهم كانوا يثقون بالرسول ويأتمنونه على حاجاتهم.
يمدح حسان الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول:

وَأَبِ الرَّسُولِ فَقُلْ يَا خَيْرَ مَوْتَمِنٍ لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدِلَ الْبَشَرُ
(الديوان، 1980م: 199)

وفي مكان آخر يبين عدة خصال النبي صلى الله عليه وسلم ومنها الأمانة وذلك في رده على أبي سفيان عندما يهجو النبي صلى الله عليه وسلم

هَجُوتَ مَبَارِكاً بَرًّا حَنِيفاً أَمِيناً اللَّهُ شَيْمَتُهُ الْوَفَاءُ
(البرقوقي، 2006م: 41)

8. الوفاء

يمدح حسان بن ثابت الرسول صلى الله عليه وسلم ويذكر عدداً من مناقب الرسول صلى الله عليه وسلم ومنها الوفاء فيقول:

وَإِبِ وَمَا ضِ شَهَابٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ بَدْرٌ أَنَارَ عَلَى كُلِّ الْأَمَاجِيدِ
(البرقوقي، 2006م: 87)

وفي قصيدة أخرى يهجو فيها أبا سفيان فيقول:

أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركاً برا حنيفاً أميناً الله شيمته الوفاء

9. الجلم

يقول حسان في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم:
لَقَدْ غَيَّبُوا جِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً عَشِيَّةً عَلَّوهُ النَّرَى لَا يُوسَدُ
(الديوان، 1980م: 92)

10. العفة

حصر قدامة ابن جعفر في كتابه نقد الشعر الخصال التي يُمدح بها الإنسان في أربع و هي: (العفة والشجاعة والعدل والعقل)، ورأى أن "القاصد لمدح الرجل بهذه الخصال الأربع مصيب والمدح بغيرها مخطئ". (قدامة بن جعفر، 1963م: 127)
كان الرسول صلى الله عليه وسلم متواضعاً في جميع شؤون حياته من لباسه ومأكله ومشربه وعزف عن الشهوات. وقد امتدحه حسان رضي الله عنه في مرثية له صلى الله عليه وسلم:

وما فَعَدَّ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يَفْعُدُ
أَعْفُ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لَا يُنْكَدُ

(البرقوقي، 2006م: 97)

استخدم أسماء التفضيل في هذه الأبيات، لبيان أعلى درجة من هذه الخصائل لممدوحه ومن ثم أكثر وضوحاً في بيان البعد الإنساني للشخصية النبي صلى الله عليه وسلم.
ولعل من أبرز الأبيات التي وصف حسان فيها الرسول صلى الله عليه وسلم هي البيتين التاليين:

وأحسنُ منك لم ترَ قطُّ عيني وأجمل منك لم تلد النساءُ
خُلِقَتْ مُبْرَأَةً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ
(البرقوقي، 2006: 42)

إن لهذا الشعر أثر في نفس السامع، وقد جمع فيه الشاعر حُسن الخلق وحسن الخلقة، ولم تلد النساء من قبله ولن تلد من بعده أجمل وأفضل منه البتة. وأن في هذين البيتين يصف حسان الرسول صلى الله عليه وسلم بأسمى الصفات وخاصة صفات الحس والجمال، وبأنه خُلِقَ مبرءاً من أي عيب ونقصان.

النتيجة

ومما سبق ذكره يمكن الخروج بالخلاصات والنتائج الآتية:

1. يعد شعر حسان مصدراً من مصادر التاريخ الإسلامي إذ شعره يعكس صورة المجتمع الذي كان يعيش فيه.
2. حسان شاعر مطبوع وينتمي شعره الطبع ولا إلى الصنعة ولعل ذلك من الأسباب الذي جعلت شعره يأتي في غاية القوة حيناً ويميل إلى الضعف حيناً آخر.
3. نجد الشاعر لم يحتف كثيراً بالدبياجة والصنعة بقدر ما اهتم بمضمون الدين الجديد والحث على الترغيب فيه، والدفاع عن العقيدة، والرد على المشككين والمعاندين.
4. أن أشعار المديح لدى حسان بن ثابت قد جاءت في أثناء أشعار الفخر والرثاء والحماسة أو المناقضات الهجائية بينه وبين شعراء المشركين، فنجد بيتاً أو أبياتاً يعبر عن عمق إعجاب الشاعر بالرسول صلى الله عليه وسلم من خلال قصيدة الفخر، أو الرثاء أو الهجاء أو غير ذلك.

5. الموضوع الأصلي في المدائح النبوية ذكر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم العطرة وذكر كثير من أخلاقه الشريفة وإظهار حبه العميق والخالص له.
6. يمثل الشاعر معنى الكمال الإنساني في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بنعته المستمر بأنه خير البرية وأفضلها وبأنه سيد الناس وغير ذلك.
7. رسم الشاعر صورة دينية جميلة للرسول صلى الله عليه وسلم من خلال وصفه بالهادي وخاتم النبيين و صاحب الشفاعة والرسول والنبي وغيرها.
8. تأثر الشاعر بالأسلوب القرآني وأثر القرآن في أشعاره واضح، وكان متأثراً بسلاسة القرآن وبلاغته وإعجازه، ونراه ابتعد -غالباً- عن الألفاظ الغريبة والمتنافرة وكذلك يتجنب الغلو والإفراط والزخرفة.
9. امتاز الشاعر في اختياره الألفاظ والأساليب البيانية الملائمة للمقام.
17. مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج الشيرازي، (1977م)، صحيح مسلم، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
18. مقداد، عبدالله جبريل، (1999م)، شهر يهود في الجاهلية وصدر الإسلام، عمان، دار عمار.
19. مكي، محمود علي، (1991م)، أدبيات المدائح النبوية، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان).
20. النص، إحسان، (1985م)، حسان بن ثابت حياته وشعره، دمشق، سوريا، دار الفكر.

أهم المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. الإبيشي، شهاب الدين محمد بن أحمد، (2008م)، المستطرف في كل فن مستظرف، ط:1، بيروت، لبنان، دار المعرفة.
3. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (1982م)، النبوات، بيروت، دار الكتب العلمية.
4. ابن جعفر، قدامة، (1963م)، نقد الشعر، التحقيق: كمال مصطفى، مصر، مكتبة الخانجي.
5. ابن منظور، محمد بن مكرم، (د.ت)، لسان العرب، ط:1، بيروت، دار صادر.
6. الأنصاري، حسان بن ثابت، (1980م)، الديوان، المراجعة والتقديم: إحسان عباس، الجزائر، مؤسسة الإخوة مناتي البليلة.
7. البخاري، محمد بن إسماعيل، (1987م)، صحيح البخاري، التحقيق: مصطفى ديب البغا، ط:1، اليمامة، بيروت، دار ابن كثير.
8. البرقوقي، عبدالرحمن، (2006م) شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي
9. البستاني، بطرس، (1989م)، العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار مارون عيود.
10. حمداوي، جميل، (2007م)، المديح النبوي في الأدب العربي، ط:1، صيدا، بيروت، منشورات المكتبة العصرية.
11. خليل، شرف الدين، (د.ت)، الموسوعة الأدبية الميسرة، بيروت، دار ومكتبة الهلال.
12. الزمخشري، محمود بن عمر، (2003م)، أساس البلاغة، التحقيق: أحمد قاسم، ط:1، بيروت، مكتبة العصرية.
13. الطنطاوي، عبد الله، (د.ت)، أبعاد المؤتمر الإسلامي في القصيدة العربية، مصر، دار الثقافة.
14. عيد، يوسف، (1992م)، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ط:1، بيروت، دار الجيل
15. فارس، عزت محمود علي، (2006م)، أدب الفقهاء حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ط:1، عمان، الأردن، دار يافا العلمية.
16. الفيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، (1981م) العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، التحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط:5، بيروت، دار الجيل.